الأهرام

المصدر: القدس العربى

التاريخ : ١ مارس ٢٠٠٣

مشاهد من مظاهرة امريكية معادية للحرب على العراق

عدنان سليم*

يوم السبت 15 شباط (فبراير) كان المئات من رجال ونساء ومن مختلف الاعمار والاعراق والاجناس على موعد في السادسة صباحا عند الـ Station Union في قلب العاصمة الامريكيّة واشنطن.

البرد قارس والثلج يتساقط بغزارة، والحافلات تنقل هذه الجموع الواحدة تلو الاخرى الى نيويورك حيث موعد (الرالي). سائق الشاحنة رجل اسود بلحية بيضاء اعلن انه يضم صوته مؤيدا لأنه عانى بشاعة الحرب في فيتنام. الحماس يغمر النفوس الطيبة. النساء توزع اكياس الطعام الذي اعددنه، ولا حديث غير التنديد بسياسة الشر والعدوان والتدمير والنهب الامريكية.

يجلس الى جانبي رجل في الثلاثين من عمره، قال مقدما نفسه: «جف سكنر». سألته فيم تتلخص رسالتك وانت تشارك هذه الحشود؟ قال: «انا رب اسرة لي طفلان. ليست لي مصلحة في الحرب وقتل الآخرين. كلما مر الزمن تضاءلت موافقة الانسان على شيء آخر سوى التقدم، صوب السلام ومواصلة الحياة. نحن كامريكان بدأنا نفهم بأن الحياة هبة من الله للانسان، لم الاصرار على قتل اطفال العراق؟ الطفل يحب العالم كله بدأ الناس في بلادنا يدركون عمق المأساة. نحن نرى ما هو العدوان في التطبيق، جئنا الى نيويوك كي نتكلم ونستحث الآخرين».

ما ان انتهى محدثي من كلامه حتى راحت سيدة تشاركنا الحديث، قالت باقتضاب: «قبل ايام ودعت والدي النقيب في الجيش الامريكي، متوجها الى الخليج، ولا اريد استقبال جثمانه كما استقبل جثمان ابيه في فيتنام، وبقيت ارملة اعني بأولادي وانا في ريعان الشباب. اي حرب على العراق ستكون غير اخلاقية، ستكون جريمة ضد شعب عانى المحن والآلام جراء الحصار، وفقد اكثر من مليون طفل لأن امريكا ترغب في ذلك» كان هذا صوت رجل الدين من جنوب افريقيا الذي وقف على المنصة قبالة الامم المتحدة منددا بالسياسة الحمقاء للادارة الامريكية. رجل الدين هذا حاز على جائزة نوبل لوقوفه جنبا الى جنب مع نيلسون مانديلا في النضال ضد سياسة التمييز العنصري.

وكانت جموع المتظاهرين تقتحم شوارع نيويورك بشعاراتها المنددة بالحرب. وقد سدت الشرطة كل المنافذ المؤدية الى مبنى الامم المتحدة بأمر من عمدة المدينة، وتعرض البعض للضرب والتوقيف. الا ان ارادة الجماهير كانت اقوى وامضى لأن وقت التصدي قد حان. والحناجر تهتف: اوقفوا الحرب.. الشعب العراقي ليس عدونا، لا دماء من اجل النفط، اوقفوا حرب بوش على اطفال العراق.

كان يسير الهوينا، يحمل بيمناه صورة لطفلة عراقية ثبتت على عصى خشبية. اليشماغ يلف رقبته، وفي نهايته علم فلسطين. قال لي: «العراق وفلسطين قضية واحدة ومصير واحد. قلت اتحن الى مسقط رأسك؟ قال: كما يحن التراب الى الماء وشجرة الزيتون الى الشمس. وبي حنين الى سقف استظل به في ارضي المغتصبة فلسطين. واضاف: لقد قرأت ان الزهور النادرة التي جلبت من امريكا اللاتينية الى باريس اخذت تذبل، في حين ان الجو رائع، ولم يعثر العلماء على اسباب واضحة لتلك الظاهرة، فقد اتضح ان جفافا اجتاح موطن نموها، فذبلت الزهور المماثلة في باريس. فما اقسى العبرة الحكيمة في هذا المثال بالنسبة لنا».

انزويت جانبا مع رجل طاعن في السن يدفع عربة تجلس فيها زوجته وبيدها شعار «العالم يقول لا للحرب» طلب الي ان احدثهما عن حقيقة ما يجري في العراق. كانت بيدي مجلة فيها رسالة من ام عراقية تعاني سكرات الموت جراء سرطان اليورانيوم المخصب: «كم تتألم لانك تؤلم احباءك برحيل وشيك اكيد، وان تفقد المسرات، وتحرم من الاشياء الجميلة والضحك والآمال والاحلام، ذلك هو الموت المحقق الذي

www.ethraadl.com

إثراء المعارف الرقمية

بانتظاري. سأذهب للقاء ربي راضية مرضية، ضحية الهمجية والجشع..». كانت الدموع تترقرق في مآقي زوجته الكسيحة وتنحدر قطرات على خدها الضامر. اما هو فصار يعض على اسنانه غاضبا وهمس: يا للعار. دفع بالعربة وانضم الى الجموع.

رجل وقور تنم نظراته عن ذكاء وحكمة، «أنت من اليابان نعم اجابني. لم قررت المشاركة في تظاهرة الاحتجاج هذه؟ نظر بتعجب وكان السؤال في غير محله، كيف لا اشارك وقد عانينا نحن اليابانيين شرور الحرب في بلادنا، الم تسمع بهيروشيما ونكازاكي، بالجريمة البشعة التي لا مثيل لها في التاريخ، نحن نعلم ان شعب العراق عانى من مآسي الحصار، وحجة صقور الحرب ان العراق مصدر خطر على امريكا والعالم، وهم قبل غيرهم يعرفون كذب هذه الادعاءات الدافع الرئيسي لحربهم كما يعلم الجميع هو النفط.

«ان انتصار افكار السلام، والهمة الاجتماعية التي حلت بعد سبات طويل، قد ساعدنا نحن الشباب على فهم المهمات الوطنية، والتدخل الفوري في الحياة»، هكذا قالت جنيفر التي تدرس الرسم وزوجها الحقوقي «لقد التقيت بوجوه رائعة في هذه التظاهرة. امامنا نحن الفنانين رسم صورة لأنساننا المعاصر الذي يتأثر بكل قضايا العصر، ويتحمل المسؤولية عن مستقبل بلاده».

واضاف زوجها مايكل: «الخطر الآن يفهم ليس فقط بضرب العراق، بل يفهم على انه تقويض الحضارة الانسانية، انتصار شريعة الغاب، العراق اقدم حضارة على وجه الارض، بابل واشور، دجلة والفرات، هولاكو دمر بعض هذا الكنز الحضاري الانساني. وثمة اشباه هذا الوحش يحلمون بالقضاء على ما تبقى من هذا الكنز الفريد».

بهذه الروح الحماسية المنقطعة النظير، وبهذا التضامن الرائع، عادت الحشود الهادرة الى مدنها، وعدنا. كان الظلام قد ارخى سدوله واخذ التعب منا كل مأخذ. فنام من نام على كرسيه، ورحت اقارن بين اناس شجعان تجشموا عناء السفر من كل حدب وصوب، وقرروا باصرار منع وقوع الحرب، وبين قادة عرب رفعوا اياديهم بالاستسلام.

بين هذه الجموع الهائلة التي نادت لا للحرب على العراق، بين جنيفر وزوجها مايكل وبين وزير خارجية الكويت الذي صرح بابتهاج وتشفي ان القاطرة قد وضعت على السكة، ولا مرد لآلهة الحرب بوش وزمرته. ناسيا ان هذه القاطرة نفسها ستغير يوما ما سيرها باتجاهه وباتجاه الاخرين.

*** استاذ جامعي من العراق يقيم في امريكا**

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية